العدد (2088) السنة الثامنة - السبت (2) نيسان 2011 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

مـاضـي الـعـمـارة الخـلاّقـة

د.خالد السلطاني
معمار وأكاديمي

تخفي بغداد كنوزا معرفية عديدة في ثنايا فضائها المديني. وهذه الكنوز، هي في الواقع، تمثيل لإبداع فترات مثمرة ومميزة، مرّ بها تاريخ المدينة المعن في القدم. وقد سعى صفوة من المهتمين وراء تبيان تلك الكنوز والكشف عنها، لتكون المنطلق والأداة اللذين، منهما وبهما، تبدأ نهضة المدينة، وبالتالي نهضة البلد ككل. وكحاضرة "متروبولتانية" عريقة بامتياز، فإنها تخفي، أيضاً، تحفاً معمارية عالية الأهمية، إن كانت في قيمتها الفنية، أم في نوعية مقاربتها الأسلوبية. انها تحف حقيقية ومتنوعة، ما انفكت تمتلك جمالياتها، وقوة معالجاتها التكوينية. بيد إن سطوة الزمن العاتية، "المتواطئة" مع يد الإنسان غير الرحيمة، عملتا على تشويه وإقصاء وغياب "حضور" تلك التحف عن المشهد المديني، رغم ما تمثله من أهمية ثقافية، وما تعكسه من إبداعات مهنية مرموقة.

ولئن شاهدنا اهتماماً مشروعاً في السابق من قبل بعض المهتمين، الذين ساهموا بجهدهم العلمي ومبادراتهم الشخصية، في إنارة ذلك الإرث الفني، وتقديمه إلى أوساط اجتماعية واسعة ومتنوعة؛ فان مثل ذلك الاهتمام قد انحسر في العقود الأخيرة، ويكاد ان يضحى الآن أمراً منسيا وبعيداً عن انشغالات الخطاب الثقافي العراقي الراهن. وهو امر، أثار، ويثير الأسى والأسف، لدى جمهرة واسعة من المثقفين. إن القطيعة المعرفية غير المبررة، والتغاضي المتعمد عن ذكر او معرفة ما جرى سابقاً من نجاحات مهنية، لا يمكن تسويغهما ابستيمولوجياً بأي حال من الأحوال؛ فالغياب المؤثر لتلك المقاربات المعمارية الرصينة في الخطاب وفي المشهد، يفضي إلى فقر الذخيرة المعرفية المحلية وجدبها، هي الحاضنة، بموضوعية، لأي نجاح مهني وثقافي حقيقيين.

قد تكون نظرة المهتمين المحليين في إنارة المنجز المعماري السابق ومساءلته، عملاً مطلوباً وضرورياً، لإدراك قيمة ذلك المنجز وتبيان نجاحاته وتقدير أهميته المهنية. لكن نظرة "الآخر" إلى ذلك المنجز تحديداً، يضفي، في اعتقادنا، أهمية استثنائية، لجهة كشف وتحليل ذلك المتن الإبداعي ورؤيته من خلال نظرة أخرى، خاصة، نظرة تستقي خصوصيتها من مصفوفة معرفية، تتبع، عادة، مرجعية ثقافية مختلفة، هي التي تنطوي على معايير، ليس بالضرورة تماثل معاييرنا، وليس شرطاً تشبه طريقة تعاطينا للإحداث. انها نظرة "الآخر" التي تكرس انا(تنا) من جهة، وتشعرنا لان نكون ندا مكافئا للآخر المختلف، ومن جهة أخرى، تحرص على تأشير عناصر عمارتنا منظوراً اليها، بعين أخرى، هي غير ما اعتدنا نحن على رؤيتها.

وكتاب "سيسيليا بييري" Caecilia L. Peiri (بغداد: العمارة الحديثة والتراث)، الصادر عن دار المدى، ٢٠٠٩، وبعدد ١٥٦ صفحة من القطع الكبير، ينشد ان يكون ضمن رؤى "نظرة الآخر" ومفاهيمها، النائقة لفحص المنجز المعماري المحلي، وقراءاته قراءة خاصة. من هنا، في اعتقادي، تنبع الأهمية المضافة للكتاب، بالإضافة طبعا الى أهميته كونه يثير موضوع نشأة العمارة العراقية الحديثة ويسعى وراء تأشير إنجازاتها، وتعقب مقارباتها التكوينية. ومؤلفة الكتاب، باحثة سوسيولوجية فرنسية، حصلت على شهادة الدكتوراه عام ٢٠١٠ ، من مدرسة الدراسات العليا في العلوم الاجتماعية، بباريس، في موضوع الكتاب المنشور، والذي صدرت طبعته الفرنسية أولاً بعنوان (بغداد: ار ديكو، عمارة الطابوق ١٩٢٠-١٩٦٠) ، في ٢٠٠٨ بباريس، ثم أعقبته طبعة إنكليزية بنفس العنوان، صدرت في مصر سنة ٢٠١١ عن منشورات الجامعة الأمريكية بالقاهرة.

يتضمن كتاب " بغداد: العمارة الحديثة والتراث"، مفتتحاً بقلم رفعة الجادرجي (١٩٢٦)، المعمار العراقي المعروف، ومقدمتين، إحداهما بقلم د. إحسان فتحي (١٩٤٢)، المعمار والأكاديمي العراقي، المقيم في الأردن؛ والأستاذ في جامعة فيلادلفيا بعمان، والأخرى بقلم نعيم قطان (١٩٢٨)، وهو عراقي من اصول يهودية، روائي وناقد، مقيم في كندا، ويحمل جنسيتها، وحازت اعماله في سنة ٢٠٠٧، الجائزة الكبرى التي تمنحها الأكاديمية الفرنسية. وقام بترجمة الكتاب من الفرنسية الى العربية د. جمال شحيّد، الباحث في المعهد الفرنسي للشرق الأدنى ، وساهم الأستاذ غني العاني في كتابة بعض خطوط الكتاب.

يشير رفعة الجادرجي في مفتتحه للكتاب الذي عنونه (العراق، او الأرض والشعب اللذان سيصبحان العراق الحديث)؛ بان كتاب سيسيليا بييري "... يقدم شهادة عن الوجه العمراني لبغداد وتاريخها اللذين نخشى من زوالهما السريع. وعلاوة على ذلك يشكل مفكرة نفيسة يستطيع بها العراقيون ان يخلقوا لأنفسهم من جديد الظروف الثقافية لكتابة تاريخهم الحديث، الذي تؤلف العمارة فيه دعامة طالما أهملت، ولكنها أساسية قطعاً". (ص.١٦). اما د. احسان فتحي، فعنون مقدمته (اسطوات بغداد العظام والمغمورون)، وهو موضوع مثير للاهتمام، كما انه جديد في ادبيات البحث المعماري. وهو غني بالمعلومات عن أسماء "الأسطوات"، وهم "معلمو البناء، الذين شيدوا كثيرا من المباني والمنازل الرائعة في العالم الإسلامي". ويذكر د، إحسان، بان معظم الأسطوات العراقيين هم من اصول شعبية؛ "..وفي بغداد مثلا تنحدر غالبيتهم من الأحياء المحرومة، كحارة الهيتاويين، التي كما يبدو كانت منبتاً خصبا لهم. "؛ "..وكان الاسطوات يلبسون ثيابا بلدية مميزة: (الصاية)، و (الشراوية)، وأحيانا الكوفية التي تتهدل على الكتف. إن ارتداء هذه الثياب التي تضفي عليهم مسحة مؤكدة من الاحترام، كان مدعاة فخر كبير لهم." (ص. ١٩-٢٠).

أما نعيم قطّان، فكانت كلمات مقدمته (العودة الى بغداد)، مؤثرة ومكتوبة بوجع إنساني، طالما قرأناه، لدى اؤلئك الذين حرموا من العودة الى مرابع طفولتهم وصباهم،؛ المرابع التي ظلت دوما تذكرهم بمنبتهم الأصلي، وتمثل مصدر اعتزاز كبير لديهم. وما انفكوا يختزنون في ذاكرتهم أمكنتها، يعيدون سرد وقائعها مراراً وتكراراً، خوفاً من "تلتهمها" آفة النسيان، وبالتالي تؤول تلك الأحلام والذكريات الجميلة الى لاشيء او إلى فراغ. في تلك المقدمة، يسترجع نعيم قطّان ذكرياته التي لا تنسى عن امكنة بغداد وطفولته فيها، فيكتب بحميمية ".. في طفولتي، كان أبي يأخذني في نزهة الى "بستان الخس". كان يهديني خسة اشتراها من الفلاح. وكنت استمتع بالتهامها ورقة بعد ورقة. في عزّ شمس شتائية، وبخاصة كان عليّ ألا أنسى غسلها في المنهل..". وينهي مقدمته بقوله ان ".. المدينة باقية وتتشرب الذاكرة أصواتها. إن هذه الصور هي انتصار على النسيان، وهي تذكير بعبور لن ينقطع..". (ص. ١٧).

تقسم "سيسيليا بييري" كتابها الى قسمين أساسيين. يتضمن القسم الأول "ملامح عاصمة حديثة، قيد الإنشاء ١٩٢٠-١٩٥٠" وفيه تتناول المؤلفة ما تحقق من إنجازات معمارية، تسترجعها عقدا وراء عقد، وصولاً إلى عقد الخمسينات. والقسم الثاني مكرس إلى "زوايا الرؤى"، وهو يتضمن شروحات نصية خاصة ببعض العناصر المعمارية للبيت السكني البغدادي، والتي توضحها صور ملتقطة من قبل المؤلفة ومعاونيها، معظمها تظهر تفاصيل متنوعة للمباني والدور موضوعة البحث.

ثمة اهتمام مغموس بالمحبة، توليه "سيسيليا بييري" الى موضوع كتابها. وهذا الاهتمام المميز، هو الذي يرفع عالياً من شأن محاولتها البحثية الجريئة، في تعقب مسار العمارة العراقية الحديثة، ويجعلها تحتل موقعاً مميزاً في الخطاب الثقافي العراقي، يكاد ان يكون منزهاً عن اي نقد. فالباحثة الفرنسية، البعيدة عن اجواء ثقافة المنطقة وتقاليدها، وجدت في نفسها الشجاعة، لان تتناول موضوعاً بحثياً، هو في الحقيقة، بعيد حتى عن اهتمامات معظم المهتمين المحليين، وان تنغمس فيه حد المخاطرة في زيارات ميدانية عديدة، استطاعت ان توثق كثيرا من النماذج المعمارية الخلاقة والمهمة، وان تدرسها وتحللها ضمن اختصاصها وتتكفل بنشرها بالمستوى الرفيع الذي ظهر فيه كتابها، ما يجعلنا جميعا، ان ندين لها بالفضل، ونقدر جرأتها وصنيعها؛ هي التي تكتب في مقدمة كتابها ".. اود اليوم ان ارسم صورة لبغداد، قلب العراق، وأقترح إلى حدّ ما، "بالتوقف عن بعض الصور"، رؤية شخصية جداً، رؤية لمشهد عمراني يستطيع أن يقرأ المرء فيه موجزاً مكثفاً لماضي هذه البلاد الحديث." (ص.١٠). وتكتب أيضاً في المكان ذاته "..ان محاولتي إبراز سحر بغداد الآسر والشديد – بهدف فهمها- وهي المحاولة التي جعلني البغداديون إبان السنوات الأخيرة، أكتشف مدينتهم وأجوبها وأشاطرهم إياها وأحبها. واثقين بي ومغدقين عليّ صداقتهم. وهي أكثر من واقع ثقافي أو متعة جمالية. هي عربون وفاء لهذه الثقة ولهذه الصداقة ولهذه المدينة." (ص.١١).

تتيح موضوعة الكتاب، إمكانية النظر إليها من وجه نظر متعددة. اذ يمكن تناولها من خلال مسارات التطور المعماري والعمراني، كما يمكن التعاطي معها عبر مقتضيات الرؤى السوسيولوجية وتعقب مآلاتها. وكذلك من خلال النظرة التاريخية. لقد سعت المؤلفة إلى ان تكون نظرتها الى موضوعها مزيجاً من كل هذا، رغم انها أولت الناحية الاجتماعية كثير اهتمام؛ وهذا ليس بغريب، اذ ان اختصاص المؤلفة أصلا هو العلوم الاجتماعية. في القسم الأول من الكتاب، تحرص المؤلفة على ان يكون الهم الاجتماعي، هو الواسم بتبعاته صيرورات عمارة المدينة "الأسطورية" – كما تدعو بغداد. وهذا الجانب من التحليل نجده حاضرا بقوة هنا في القسم الأول أكثر بكثير من متن القسم الثاني، الذي تكفل، كما اشرنا سابقا، بتأكيد أهمية "التفاصيل"، التفاصيل المعمارية العاكسة لقراءة أحداث اجتماعية مركزة.

وبغية التأكيد على نوعية اهتمامات المؤلفة السوسيولوجية، فانها تلجأ الى ايراد كثير من الاستشهادات، التي بها تنزع إلى قراءة التحولات الكبرى في عمارة المجتمع الذي تدرسه، العمارة المتغيرة بأساليبها المتنوعة ومعالجاتها المختلفة. وفي هذا الصدد، تبدو كلمات الباحثة "بولين لافاني دورتيغ" لافته، حين تستشهد المؤلفة بكلامها، المنقول عن كتاب صادر للأخيرة في نيس بفرنسا مؤخرا، تظهر فيه طبيعة المشاكل التي واجهها المجتمع، وهو في صيروراته المتعددة. وتتساءل "دورتيغ" في كتابها ".. كيف يمكن خلق هوية بصرية لسلطة غريبة في ارض شرقية؟، كيف يمكن تصور الحد المادي الفاصل بين مجتمعين شديدي التباين؟ كيف يمكن إقامة تعايش بين الثقافة الاستعمارية والثقافة المحلية؟ كيف يمكن التعامل مع الحيز انطلاقا من معرفة الذات و/ أو الآخر وتصورهما؟ ما هي الخيارات التي يجب مواءمتها مع هذا الواقع وذاك؟". (ص.٤٢). وتتطلع المؤلفة إلى إيجاد أجوبة لغالبية تلك التساؤلات المطروحة، من خلال إظهار الجهد المعماري ونماذجه التصميمية.

لابد من أن نشير إلى طبيعة الصور والخرائط المنشورة في الكتاب. معتقدا بعمق ان أهميتها العلمية والوثائقية، لا تقل بأي حال من الأحوال عن النص المكتوب. إنها صور جد مهمة، وبعضها نادر، استطاعت المؤلفة ان تجمعها من مصادر متنوعة ومن مجموعات خاصة. وهي بلا شك تغني ذاكرتنا البصرية للفترة التى تتحدث عنها المؤلفة. وقد سررت شخصيا لرؤية صورة "جناح العراق في معرض باريس الدولي" (١٩٣٧)، عمارته التي ساهم فيها كمستشار "احمد مختار إبراهيم" اول معمار عراقي. اذ كنت مطلعا (بحكم متابعتي المهنية لمنجز عمارة الحداثة بالعراق) على إيفاد "مختار" إلى باريس للإشراف على إعداد الجناح، بُعيد تخرجه من ليفربول عام ١٩٣٥. لكنها المرة الأولى التي أرى صورة الجناح بهيئته التي حرص مصممو الجناح الفرنسيون، ان يستوحوا بها آثار العراق و زقورته البابلية القديمة.

تشكل صور التفاصيل المعمارية المتنوعة من أقواس وأبواب وأشكال نوافذ، وأعمدة وأجزاء لأعمال آجرية مشغولة بإتقان وبموهبة، قوام القسم الثاني من الكتاب. ويؤلف هذا المنجز التصميمي الرائع، مع منجزات نماذج القسم الأول، متنا إبداعياً غاية في الأهمية، استطاعت المؤلفة ان تقدمه لنا بنص جميل، وأمثلة لصور معبرة. انه المتن الذي يحكي عن ماضي العمارة الخلاقة: عمارة الذكريات السعيدة، لكنها أيضا "العمارة المنسية"؛ نماذجها الرائعة، التي يغدو حضورها، مع الأسف، اقل واقل في المشهد المديني، المشهد الذي نطمح جميعاً إلى ان يكون معبرا عن ذاكرتنا المعمارية، وغنيا بإنجازاته المبدعة. وكتاب "سيسيليا بييري" يمكن ان يكون، بدون أدنى ريب، تذكيراً وحضوراً لماضي ذلك المنجز: ماضي العمارة الخلاقة.

ساحة حافظ القاضي، بداية الخمسينات

جناح العراق، معرض باريس الدولي، ١٩٣٧

تلويحة المدى

تعريب المُستعَار

■ شاكر لعيبي

برز أواخر سنوات الستينيات وعيٌ توليفيّ تشكيليّ يستهدف (تعريب المُستعار)، عبر العودة إلى الرموز المحلية والتاريخية العربية واستخدام الحرف العربي وأقواس العمارة الإسلامية (جواد سليم وشاكر حسن السعيد مثلاً)، بل نفي فن الخط العربي لصالح لوحة القماش المسندية (صخب الحروفية النظري في أحسن الحالات، ونواياها التجارية القوية الخفية في أسوئها). لقد اعتبرت عودة كهذه خصوصية من خصوصيات الفن التشكيلي العربي الحديث، وهو حديث خرافة بكل بساطة كما حاولنا البرهان في كتاب عن الموضوع عام ٢٠٠٣: "خرافية الخصوصية في التشكيل العربي المعاصر"

من أكبر المفارقات هي إن الفن التشكيلي نشأ في العالم العربي على الفور حديثاً، دون اجتياز مراحل وتطورات وانقلابات الفن الأوروبي. لقد انهمك مباشرة مثلا في المنظر الطبيعي paysage، مهما تكن درجة ضعفه في بدايات نشوء التصوير العربي، الذي لم يُخترع كنوع فني في أوروبا نفسها إلا في فترة لاحقة من عصر النهضة. بل انهمك به من دون ان يمتلك موقفا متأملا متأصلا من الطبيعة، لأنه كان مقطوع الصلة عن أمهات الدراسات الفلسفية العربية الإسلامية، على الأقل، التي عالجتها ملياً، وما زال. ذهب الفن العربي فورا إلى المنجزات التشكيلية الأوروبية الحديثة وبسرعة ماراثونية، غير متوفر لا على النية ولا الوقت لاجتياز المسافة التي قطعها الفن الأوروبي بدءاً من الفن البيزنطي فعصر النهضة فما تلاه حتى حركات بداية القرن العشرين الراديكالية. لقد نشأ فناً (حديثا) منذ البدء مما سبب ويسبب العديد من المفارقات المحلولة بأثمان باهظة، لا تقال إلا على استيحاء.

نشأ حديثا وليس دائما عن صلة رحم عضوية مباشرة مع أوروبا بل عبر وسائط أخر. فليس غريبا أن يكون البعض من كبار الرسامين الرواد العراقيين مثلاً قد تلقوا الحداثة من مراجع تركية، أو ان يكونوا هم أنفسهم من أصول تركية بشكل ما، أو وُلدوا – وللأمر مغزى في ذلك الوقت- في تركيا، ذلك أن عملية (تقليد الحداثة) على مستوى الفن التشكيلي لم تتم دائماً من مصدرها الأوروبي بشكل مباشر، وإنما وصلت في حالات عديدة من المصدر التركي الذي كان يسعى هو نفسه، قبل البلدان التي يهيمن عليها، إلى اللحاق، في أيام مرض الإمبراطورية العثمانية، بتلك الحداثة العتيدة، ليس على الصعيد التشكيلي فحسب إنما غيره من الصعد مثل حركة تحرّر المرأة التي وصلت لمصر عن الطريق التركي عينه، ومن سيدات مصريات تأثرن بقوة بجمعيات تحرر المرأة المماثلة في تركيا، هدى الشعراوي (١٨٧٨ . ١٩٤٧م) مثلا.

تشابه الاتجاهات والأساليب الفنية اليوم في كل من العالم العربي وتركيا وإيران حتى وقت قريب، يُعزى إلى تشابه ظروف هذه البلدان وتشابك تاريخها ومصائر شعوبها، لكن أيضا وبشكل خاص إلى مشكلة المرجعيات نفسها ومحاولة اللحاق بتحديث ما من دون مساهمة نظرية جذرية في حركة الحداثة العالميةً.)

كان هذا الوعي التشكيليّ الجديد يتقدّم، في الحقيقة، بالتوازي مع حركات التحرّر من الاستعمار ومن الوعي السياسيّ القوميّ الذي نعرف أنه استعار أيضاً بعضاً من أهمّ حججه من الوعي القوميّ الأوروبيّ. نحن هنا أمام الحلّ الثاني المقترَح لإشكالية الحداثة في سياقها العربي، وهذه لم تنتج وتعيد إنتاج المأزق على الصعيد المعرفي والجمالي فحسب لكنها أنجزت أعمالاً تشكيلية مثيرة، بل طرحتْ بشكل غير مباشر الأسئلة المريرة عن مقادير المساهمة العربيةً في حركة الحداثة العالمية ومستوى الوعي بالمفهوم، رغم أن استخدام المفردة على كل لسان، في هذا الوقت عينه، لم يكن موصولاً كالعادة بدرس فلسفي وتاريخي متفق عليه. إن كلمة الرسام جواد سليم العفوية بالغة الصدق والحرارة الإنسانية عام ١٩٥١ في افتتاح المعرض الأول "لجماعة بغداد للفن الحديث" قد تمنحنا إشارات إضافية عن التباس العلاقة بين ممارسة (الفن) في بلد عربي وهذه (الحداثة) المأمولة المشغول عليها بشغف ما بعده من شغف من طرفه.

(الزهايمر).. في رواية فرنسية للكاتبة كريستين أوربان

ترجمة: عدوية الهلالي

موضوع مرض (الزهايمر) الذي أصبح معروفا ومنتشرا حاليا بشكل خطير أصبح مادة دسمة للروائية الفرنسية كريستين اوربان فحولته الى رواية تحمل الكثير من ملامحها الشخصية ...

تروي الرواية التي تحمل عنوان (بلد الغياب) سيرة الكاتبة الذاتية عبر سرد علاقتها بوالدتها المسنة في الماضي والحاضر أي قبل وبعد إصابتها بمرض الزهايمر .. وتستخدم الروائية مبضع الجراحين لتدرس بتشريح دقيق نفسية والدتها التي كانت امرأة متأنقة وجميلة وأصابها جنون فقدان الذاكرة فجأة، مشيرة بألم الى عجز تلك المرأة عن نسج علاقة ثقة مع ابنتها طوال حياتها ..

لقد رسمت الروائية صورة والدتها بلا تحيز فمنحتها ملامح كائن لم يعرف سوى الطيش والنزق أسلوباً لحياته، لكن روايتها لم تخل مع ذلك من خليط من الحنان والدعابة والشعر ...

في البدء ،تولت الكاتبة وصف الأعراض الأولى لمرض الزهايمر بدقة وبراعة صارمة ثم تصاعدت الأحداث ليشعر القارئ بتوتر الكاتبة وألمها خاصة في المقطع الذي تصف فيه كيف تروي العجوز لابنتها عبر الهاتف تعلقها بكلب جديد قامت باقتنائه ثم تكتشف الابنة انها إنما تتحدث عن لعبة من القطيفة !!

تعتبر الكاتبة انطلاقا من هذه الحادثة ان والدتها إنما تضع قدمها على عتبة الجنون فتحاول التماسك والمحافظة على واقعيتها لتتمكن من سرد الأحداث بحيادية ..انها تطرح سؤالا ملحاً حول الشيخوخة وان كانت هي أسوأ ما يمكن ان يحدث للمرء فتشعر بالخوف ويتضح ذلك من خلال سطورها ..

ورغم ان الرواية قاتمة وكئيبة في معظمها لكن هناك أيضاً فسحات للضحك والكوميديا السوداء ..فبعد ان تسمع العجوز بوفاة احد أصدقائها وهو السيد بيلو اثر إصابته بإغماء يحدث بسبب البرد خلال استحمامه والعثور عليه ميتا في مغطس الحمام ، تقرر بعناد رفض الاستحمام حتى إشعار آخر حتى حين تأخذها ابنتها إلى ساحل مشمس فهي تخشى من برودة الماء ..

تحوي الرواية الكثير من المعاناة والخوف من الفشل وعدم القدرة على التواصل الكامل بين الام والابنة ، لكن كريستسن اوربان تنجح إلى حد كبير في تقديم احترامها وولائها الموجع والمؤثر لهذه الأم التي تحبها وتعلم انها تحبها أيضاً رغم كل شيء ..انها تعرض صورة المرأة بكل جروحها الخفية التي طالما أخفتها خلف شططها وطيشها دون ان تنسى التعبير عن ألمها لماحلّ بوالدتها بصور مؤثرة وحاذقة ..

صدرت رواية (بلد الغياب) للكاتبة كريستين اوربان مؤخرا عن دار البان ميشيل للنشر في ١٧٠ صفحة ..

متابعات

في دار الثقافة والنشر الكردية

برهان شاوي: لست شاعراً او كاتباً محترفاً.. والكتابة نوع من العشق

محمود النمر

احتفت دار الثقافة والنشر الكردية بالروائي والشاعر برهان شاوي ، ضمن نشاطاتها الثقافية في الاحتفاء بالرموز العراقية المبدعة التي قارعت نظام الديكتاتورية ولم تستسلم لنظام الصنم ،وأدار الجلسة الروائي شاكر الانباري الذي قال :ان تجربة برهان شاوي تستحق التأمل فهو من الأدباء القلائل الذين عادوا الى الوطن ،بعد سقوط النظام وتسنموا مسؤوليات رفيعة ،هذا الانتقال بين المنفى والوطن لم يتلمس تفاصيله القارئ او المتابع لتجربته وهو يحسب على التيار الليبرالي المؤمن بالهوية العراقية .

ورحب د. جمال العتابي مدير عام الدار بالحضور وقال: انه لشرف لنا وللدار ان نحتفي بأحد رموز ثقافتنا الوطنية الذي مافتىء متمسكاً بعراقيته منتميا إليها ،كأنتمائه لقوميته الكردية الفيلية التي عمقت أصالته وإنسانيته ومنحتها بعداً أكثر شمولاً.

واضاف العتابي : ولأجل هذاالانتماء ،كان المثقفون من طراز برهان الشاوي من اكثر الفئات تعرضا للظلم وتعسف الديكتاتورية ،واكثرهم معارضة للاستبداد ولمصادرة الحريات،مما اجبره وجيلا من المبدعين ان يختاروا المنفى بحثا عن فضاء ارحب وأجمل لتنفس هواء الحرية ،لكن المصلوب الأبدي لا يصعّر خده للصفعات.

وقال القاص والاعلامي محمد خضير سلطان عن رواية (الجحيم المقدس) من خلال مقدمة – إشارة – المؤلف او سياق الأحداث الروائية على ان الرواية ،تسجل على نحو فني وقائع حقيقية ،عاشها وكابدها العراقيون نهاية السبعينيات من القرن الماضي ،ونشبت مخالبها في الأجيال او العقود اللاحقة . وقرأ الشاعر كاظم غيلان ورقة بعنوان – الاحتفاء بالجحيم – قال فيها :ان وقائع رواية الجحيم المقدس أتمنى ان تكون ضمن وثائق إدانة الفاشية في طريق حكمها للعراق أرضاً وبشراً ،قلت أتمنى وكم من الأمنيات قد ذبحت على عتبات الحكام الذين انشغلت الشعوب المقموعة بإسقاطهم تماثيل وصورا ورايات زائفة. الناقد جاسم محمد جسام تناول منجز برهان شاوي عن طريق اللقطات السينمائية كأسلوب وقال :يستند على حركة الكاميرا في الصور الشعرية وهذا النمط في التصوير خطوة فنية باتجاه القصيدة الحديثة ،حيث تشي بدلالات عميقة تضاف إلى خلفية الصورة التي ترتكز بتكوينها على الجانب البصري مقابل الصورة الذهنية المجردة فقصيدة –ضوء أسود – مثلا تحس فيها وكأن هناك عين الكاميرا تنتقل من مشهد إلى آخر .

وتحدث د. برهان شاوي عن اهم المحطات التي كان لها اثر واضح في حياته النضالية والابداعية وقال : كنت دائما أسأل نفسي لمن أكتب ؟ وأنا أرى في المكتبات العالمية هذا الكم الهائل من الكتب ، كان هذا الشعور يرافقني وأنا أترجم (القربان) وهي رواية توراتية عن اسحاق او إسماعيل في القرآن الكريم ،هذا الشعور كان يرافقني قبل ان اعود الى العراق،لقد انفتحت على العالم الرحب ومازلت أتمسك بمبادئي ،أنا لست بشاعر محترف، ولست كاتبا محترفا، والكتابة هي نوع من العشق ومركز اهتمامي .واوضح شاوي حول محور كتاباته قائلا : أنا اهتمامي وجودي وكتاباتي ايضا ،وأنا رجل مؤمن برب هذا الوجود،ولكني اتساءل عن العلم والكون والوجود .

وأكد ان رواية الجحيم المقدس هي رواية حقيقية بطلها جندي اسمه عبد الله وهو أنا وهي تروي قصة شعب يعيش في ذلك الإقليم وكانت تجربة حقيقية وكنت شاهداً وحارساً على امرأة كردية تغتصب ،حتى حوارات هذه الرواية أكثرها حقيقي .

وأخذ يستذكر رحلاته عبر المدن التي عاش بها منفيا مثل موسكو وابو ظبي ،ثم قرأ بعضا من أشعاره التي كتبها في السبعينيات.

وكان آخر المتحدثين الروائي احمد خلف الذي أشاد بمنجز برهان شاوي الروائي والشعري وقال : ان هذا الرجل يمتلك من الوعي والمعرفة التي لا يمكن ان تمر دون ان تترك أثراً واضحاً في المكان .

في أمسية أقامها بيت الشعر والمركز الثقافي الفرنسي..

الشعر العراقي يتلاقح مع الشعر الفرنسي بمرافقة أنغام العود

أفراح شوقي

وسط حضور مشجع، اكتظت قاعة المركز الثقافي الفرنسي بجمع من الأدباء والمثقفين والمهتمين بحضور أمسية (ربيع الشعراء) الذي أقيم بالتعاون مع بيت الشعر العراقي ،تضمن قراءات شعرية لشاعرين فرنسيين هما ميشيل بوتر وايمي سيزير وقراءات أخرى لبعض قصائد مختارة للشاعرين نصيف فلك و نصير فليح والشاعرة دنيا ميخائيل بمرافقة معزوفات على آلة العود.

وفي كلمة موجزة له أعرب جان ميشيل لودان الملحق الثقافي الفرنسي في بغداد عن سعادته بإقامة مثل هذه الفعالية التي تشكل تظاهرة عالمية وعربية في نفس الوقت وهي تقام للمرة الثالثة عشرة في الكثير من دول العالم، وفيها نحاول ان نبين أهمية الشعر في اللغة وكذلك تقريب الثقافات بين الشعوب عبر العصور، وتناول نماذج الرؤى والأفكار للشعراء الفرنسيين من الأصول العربية ، وأضاف ان جلستنا اليوم هي بالتعاون مع بيت الشعر العراقي ونشكره كثيرا على مبادرته وللتعرف على نتاجه ومنشوراته، أشكر الدكتور سهيل نجم للحضور وترجمة بعض أعمال الشعراء الفرنسيين الى اللغات العربية،

مقرر الجلسة الشاعر حسام السراي قال : هذه هي باكورة التعاون مابين المعهد والبيت ضمن خطة مقبلة لتواصل النشاطات لمحبي الثقافة والأدب والفن كي يأخذ الحراك الأدبي مدى أوسع في العراق الجديد وبودنا أن نذكر شيئا عن بيت الشعر العراقي المؤسسة العراقية المستقلة، تأسست في نسيان ٢٠٠٩ في شارع المتنبي، وهو بمثابة بوابة للتلاقي بين الشعراء سواء بالمكان أو الأفكار وقراءة نصوص شعرية لشعراء مغتربين لم يستطيعوا زيارة بغداد، واليوم مثلا عمدنا الى إشراك الشاعرة دنيا ميخائيل المقيمة في أمريكا وطلبنا منها إرسال نتاجها قبل أيام لتتم قراءتها في هذا اليوم ، وأشار الى قيام البيت بإصدار مجلة فصلية متخصصة بالشعر ونقده ، هي مجلة بيت وننتظر في هذه الأيام صدور العدد الثاني منها وعلى الجانب الآخر مساعينا لا تتوقف في نشر الشعر العراقي في أكثر من محفل منها صدور كتابي عن انطولوجيا الشعر العراقي الذي سيصدر قريبا ب٥٠٠ صفحة ، يصدر عن المجلس الأعلى للثقافة في مصر، إضافة إلى إننا قمنا بإعداد أكثر من ملف عن الشعر العراقي الجديد في أكثر من مطبوع عربي مثل صحف النهار والمستقبل والأخبار وغيرها.

ثم اعتلى منصة الشعر الشاعر سهيل نجم وقال: ان الشعر الحديث ومع بداية القرن العشرين شكل نقطة انطلاقة لرؤية ثائرة على ما قامت به الحضارة من سحق الإنسان لعجلة الآلة فأخذ الشاعر المهووس بالحرية التطلع الى آفاق لا متناهية يرى من خلالها العالم بألوان أزهى من واقعه، واليوم سأقرأ لكم نصا شعريا للشاعر ميتشل بوتر وهو كاتب فرنسي معروف عنه أكثر مما هو شاعر، كونه كتب كثيراً من الروايات المعروفة ، سأقرأ لكم النص بالفرنسي ومن ثم مترجما للعربية،

ومن ثم اعتلى الشاعر والروائي نصيف فلك منصة الحفل ليقرأ قصيدة له بعنوان (ليس هذا ما أردت قوله) ثم تلاه الشاعر فليح نصير لقرأ بعضاً من أشعاره التي تفاعل معها الجمهور.